تأثر الشهرستاني بروايات أهل البيت والإمام الصادق عليه السلام في أسس فهم القرآن

للطالبة اسماء ايرانمنش
طالبة الدراسات العليا في كليه الإلهيات بجامعة سيستان و بلوشستان ـ ايران
airanmanesh302@yahoo.com
الدكتور حسين خاكبور
الاستاد المشارك في كليه الإلهيات بجامعة سيستان و بلوشستان ـ ايران
dr.khakpur@theo.usb.ac.ir

خلاصة:

يعتبر الشهرستاني من كبار أهل السنة حيث تأثر في تفسيره الذي يحمل عنوان ((مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار)) كثيراً بروايات الأئمة الأطهار وخاصة الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

تتناول هذه المقالة بأسلوبها التحليلي، المبادئ والأسس التي اعتمدها الشهرستاني في الإدراك وإمكانية الفهم عبر تتبع تفسيره المعروف بمفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار، بما في ذلك: إمكانية فهم القرآن وجوازه وتفسيره، حجية الظواهر، تعدد أوجه تفسير القرآن وحجية أهل البيت من وجهة نظر الشهرستاني ونستنتج فيها أن الشهرستاني قد تأثر كثيراً بمبادئ وأسس أهل البيت والروايات المنقولة عنهم، كما يعتقد بأن علم القرآن خاص بأهل البيت وأنه على المفسرين أن يعودوا في تفسير القرآن إلى أهل البيت.

الكلمات المفتاحية: القرآن – أهل البيت – الإمام الصادق – الشهرستاني – الأسس – الفهم.

مقدمة:

تعتبر مبادئ فهم القرآن الكريم وأسسه أحد أهم البحوث في مجال العلوم القرآنية وطالما حظيت باهتمام الباحثين في مجال القرآن. ويعتبر فهم القرآن من المواضيع البنيوية التي ينبغي على كل مفسر أن يحدد موقفه منها قبل التطرق إلى تفسير القرآن ويعلن عن قبوله لهذا الموضوع أو رفضه له عبر تقديمه لأدلة منطقية. وعندما يرفض شخص ما فهم القرآن فلن يكون لتفسير القرآن معنىً بالنسبة له.

أما بالنسبة للبحث حول ضرورة فهم القرآن، فينبغي القول بأن القرآن كتاب سماوي بقي مصوناً عن التحريف وهو صالح لكافة الأزمنة والعهود، وكما قال تعالى فيه فقد أنزله لإرشاد

البشر وتوجيههم، ولذلك يجب أن يكون القرآن قابلاً للفهم بحيث يمكننا أن نستفيد من المفاهيم العميقة والبناءة له، وإلا فسوف تكون الأهداف السامية لتنزيل هذا الكتاب عرضة للشك.

ويعتبر تفسير مفاتيح الأسرار من تفاسير القرن السادس ويتسم بنزعة كلامية وعقلية ولغة عربية وأدب خراساني. وفضلاً عن سمته الكلامية، يتميز هذا التفسير بأنه تأويلي وشبيه بالتفاسير العرفانية، حيث جرى التعبير عن هذه المواد في قسم الأسرار في نهاية كل آية من الآيات. ويعد الشهرستاني مفسراً ومؤلفاً كبيراً للتراجم في القرن السادس، وقد تطرق في أواخر عمره إلى تفسير القرآن لكنه لم ينجح في إتمامه. ولم يبق من تفسيره إلا سورتا الحمد والبقرة في متناول اليد.

أبو الفتح، محمد بن أبي القاسم بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الشافعي والأشعري، الملقّب بالأفضل وحجّه الحقّ وتاج الدين. ولد في المدينة ((شهرستان)) سنة ٤٦٧ يا٤٦٩ يا ٤٧٩ في عصر السلاجقة الكبار. كان معاصرا للسلطان سنجر بن ملكشاه (الشهرستاني، ١٣٨٦ش، ج١، المقدمة المصحح: ١٥؛ الصفدي، ١٣٨١ش، ج٣: ٢٧٨)؛ صاحب كتاب ((ملل و نحل)) ومتوفي سنة ٥٤٨ (نمازي شاهرودي، ١٤٢٦ق، ج٧: ١٦٢؛ زركلي،٢٠٠٥م، ج٣: ١٧٩). تفقه علي أحمد الخوافي وأخذ الكلام عن أبي النصر بن القشيري (إبن حجر عسقلاني، ١٤١٦ق، ج٦: ٣٠٤) فإنه حدّث عن علي بن أحمد مدائني وغيره (آذرشب، ١٣٦٦، رقم١٧: ٣٢).

اعتبر مؤلفو التراجم المشهورون أن الشهرستان فيلسوف مسلم وإمام في علم الكلام والأديان والمذاهب (عرفان، ١٣٧٦ش، رقم ١١ و ١٢: ٣٨١).

وسوف نتناول في هذه المقالة دراسة مقدمة كتاب مفاتيح الأسرار ونتطرق إلى معرفة وتحليل أفكار الشهرستاني في بحث مبادئه وأسسه في فهم القرآن، كما سنبين مقدار تأثره بأهل بيت العصمة والطهارة وخاصة الإمام الصادق عليه السلام، ونوضح المبادئ والأسس التي اعتمد عليها الشهرستاني في فهم القرآن. ويبدو أن الشهرستاني يعتبر أن فهم القرآن أمر جائز وممكن، كما يرى بأن ظواهر القرآن حجج وأن القرآن كتاب متعدد المستويات وعلينا أن نعود إلى أهل البيت لإدراك مستوياته المختلفة. ومن هذا المنطلق، نحاول في هذه المقالة دراسة الفرضيات المذكورة والبحث حولها. ولذلك سنستعرض مبادئ الشهرستاني وأسسه

في فهمه للقرآن ونقوم بدارسة كيفية تفسير القرآن وفهمه ومقدار تأثر الشهرستاني بأهل البيت وخاصة الإمام الصادق عليه السلام.

إمكانية فهم وتفسير القرآن

تعد إمكانية فهم القرآن أحد الأسس الهامة في فهمه؛ لأنه إذا لم يكن القرآن قابلاً للفهم من قبل عامة الناس، فسوف تكون أهداف نزوله عرضة للشك والترديد.

وتتسم إمكانية فهم القرآن وتفسيره ببعدين: يتضمن البعد الأول التساؤل حول أن القرآن قابل للفهم في الأساس أم أنه من الأسرار الغامضة غير القابلة للفهم؟ أما البعد الثاني فيعود للمخاطب، فمن هو المخاطب الذي يمكنه فهم القرآن وتفسيره (أسعدي، ١٣٨٩ش، ج١: ١٢) وهل يقتصر فهم القرآن الكريم وتفسيره على الرسل والأئمة المعصومين عليهم السلام، أم أن الآخرين قادرون على فهم الآيات الكريمة وتفسيرها ضمن شروط معينة؟ (بابائي، ١٣٧٩ش: ٤١).

أما بالنسبة لإمكانية التفسير، فهنالك العديد من وجهات النظر الهامة، وأكثرها تداولاً بين علماء المسلمين إمكانية تفسير القرآن وجواز ذلك. (بابائي، ١٣٧٩: ٤٢) ووجهة النظر هذه صحيحة (مؤدب، ١٣٨٨ش، ٩٨). وفي المقابل، تعتقد فئة أخرى بأن تفسير القرآن وفهمه أمر غير ممكن إلا على يد المعصومين. وقد قدمت وجهة النظر هذه من قبل مجموعة من المحدثين المعروفين بالإخباريين (راجعوا خوئي، ١٣٦٦ش: ٢٦٧؛ جوادي آملي، ١٣٨٣، ج١: ٨٦).

يعد الشهرستاني من المفسرين الذين يعتبرون أن فهم القرآن أمر ممكن، لكنه ينسب الفهم الحقيقي للقرآن إلى أهل البيت عليهم السلام حيث تحدث عنهم بهذا الشكل: ((رجالا يوتيهم الله فهما في القرآن...)) (الشهرستاني،١٣٨٦،ج١: ٣٧).

وهو في الفصل الخامس، في ما يستحب لقارئ القرآن ويكره له في الاستعاذة يقول: ((وممّا يستحب لقاري القرآن أن يكون علي طهارة... يقشعر منه جلده إذا مرّ بآية عذاب وعقوبة؛ ويلين منه جلده إذا مرّ رحمة و كرامة...)) (راجعوا الشهرستاني،١٣٨٦، ج١: ٤٠).

ويشير كلام الشهرستاني إلى أن فهم القرآن أمر ممكن بالنسبة للقارئ.

كما يحاول الشهرستاني أثناء تفسيره للقرآن أن يقتدي بإحدى الشخصيات البارزة لهذه العائلة الطاهرة؛ ويعتقد أن التفسير الصحيح لا يتم إلا على يديها. فيقول: ((وخص الكتاب

بحملة من عترته الطاهرة و نقلة من أصحابه الزاكية الزاهرة، يتلونه حق تلاوته، ويدرسونه حق دراسته؛ وهم ورثته وهم أحد الثقلين، وبهم مجمع البحرين، ولهم قاب قوسين وعندهم علم الكونين والعالمين)) (الشهرستاني، ١٣٨٦، ج١: ٤).

ويمكننا أن نستنتج هنا أنه من الموافقين على نظرية إمكان فهم القرآن من قبل أشخاص غير الأئمة المعصومين، شرط أن يجري ذلك بالاقتداء بأهل البيت عليهم السلام.

جواز فهم القرآن:

بعد دراسة إمكانية فهم القرآن الكريم وتفسيره وإمكانية ذلك من قبل أشخاص غير الأئمة المعصومين؛ من الضروري أن نجيب على هذا السؤال وهو: هل يعتبر تفسير القرآن أمراً جائزاً بالنسبة لغير المعصوم أم أنه ممنوع شرعياً؟

يقول الشيخ الطبرسي: ((جاء في الأحاديث النبوية وروايات الأئمة المعصومين أن تفسير القرآن غير جائز إلا عبر الأثر الصحيح والنص الصريح)) (الطبرسي،١٣٧٢،ج١: ٨٠).

إن استعراضاً موجزاً لتاريخ التفسير، يبلغ بنا ثلاث وجهات نظر حول جواز أو عدم جواز فهم القرآن وتفسيره:

وجهة النظر المتطرفة

وتفيد بأن فهم كتاب الله أمر ممكن على كافة الأبعاد ولا حاجة بنا لننهل من إرشاد القرآن إلى البيان والتفسير عن طريق السنة النبوية: وقد كانت عبارة ((حسبنا كتاب الله)) شعاراً سمع للمرة الأولى من عمر بن الخطاب. ويبدو أن وجهة النظر المتطرفة غير مقترنة بأدلة وليست إلا ادعاءً باطلاً، لأن القرآن الكريم يرفضها بذاته كذلك.

وجهة النظر المبالغة:

ويرى أصحاب هذه النظرية أن تفسير القرآن أمر ليس بالممكن للجميع، وأنه لا يمكن للأفراد العاديين لوحدهم أن يقوموا بتفسير القرآن دون الاستعانة بأهل البيت عليهم السلام. هذه النظرية متداولة بين الإخباريين والشيعة (راجعوا نجار زادكان، ١٣٨٨: ١٤).

يقول المرحوم أسترآبادي: ((ليس في متناول اليد دليل يتيح لنا استنباط الأحكام النظرية من كتاب الله والتمسك بها بصورة مستقلة عن العترة الطاهرة)) (أسترآبادي، بي تا: ١٢٨).

وجهة النظر المعتدلة:

وهي وجهة نظر أغلب علماء الشيعة والسنة. ويعتبر الشيخ الطوسي ومحمد تقي مدرسي من أنصار هذه النظرية. وتفيد هذه النظرية بأن فهم القرآن أمر ممكن لغير الرسول والمعصومين ويرى أنصارها أنه ورغم كون المعصومين مبينين ومعلمين للقرآن، لكن هذا الأمر لن يمنع أحداً من أن يتمتع بمرتبة من فهم القرآن وتفسيره بقدر ما يتمتع به من كفاءات وشروط. ولكن لا يسمح لأحد بتفسير القرآن هكذا ومن دون مقدمات (ر.ك نجار زادكان، ١٣٨٨: ١٨).

ورغم أن الشهرستاني يقبل إمكانية فهم القرآن، لكنه يعترف بجواز فهمه وتفسيره لغير المعصومين شرط أن يتجنب أي شخص يريد تفسير القرآن، تفسيره على رأيه وأن يستعين بتفسير أهل البيت عليهم السلام. ويعتبر الشهرستاني أن المفسرين الذين لم يستعينوا بأهل البيت عليهم السلام، وصلوا إلى طريق مسدود ويقول: ((وإنّما وقع لهم هذا التحير لأنّهم لم يأتو العلم من بابه، ولم يتعلّقوا بذيل أسبابه، فانغلق عليهم الباب، وتقطّعت بهم الأسباب، وذهبت بهم المذاهب حياري ضالّين)). ولتأكيد كلامه أذكر الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله: ((علي منّي وأنا منه)) (الشهرستاني، ١٣٨٦، ج١: ٦٣؛ إبن حيون، ١٤٠٩، ج١: ٩٣؛ صدوق،١٣٧٦: ٦٥٩؛ طوسي، ١٤١٤: ٨٢٠؛ مجلسي، ١٤٠٤، ج٩: ٣٤). وقال حين نزلت سورة برائة: ((يبلّغها رجل منك)) (راجعوا الشهرستاني، ١٣٨٦، ج١: ٦٣-٦٥؛ هلالي، ١٤٠٥،ج٢: ٦٤٢؛ صدوق، ١٣٦٢، ج١: ٣١١ و ١٣٩٥،ج١: ٢٤٥؛ حسكاني، ١٤١١، ج١: ٣٠٦).

إذن يعتبر الشهرستاني أن جواز تفسير القرآن يقتصر على المفسرين الذين راجعوا تفاسير أهل البيت ويرى بأن الأحاديث النبوية الشريفة والروايات المنقولة عن الإمام علي وأهل البيت عليهم السلام مراجع ومصادر هامة لتفسير القرآن وفهمه.

حجية ظواهر:

بعد دراسة إمكانية فهم القرآن وجوازه، يجدر بنا أن نبحث حول الأساس الذي يرتكز إليه فهم القرآن الكريم، وحول المكان الذي ينبغي علينا الحصول منه على الفهم في القرآن الكريم.

إذن لا يرتبط هذا البحث بإمكانية فهم القرآن وجواز تفسيره ارتباطاً كاملاً فحسب بل يشمل أموراً أخرى؛ لأن حجية ظواهر القرآن تساعدنا على الفهم وعدمها يثبت عدم

إمكانية الفهم من القرآن ذاته (علوي مهر،١٣٨٩ش، رقم ٢٨: ٤٢).

ويقول العلامة الطباطبائي: ((القرآن هو المصدر الأساسي للفكر الديني في الإسلام، فألفاظه الظاهرة حجج على السامعين)) (أسعدي، ١٣٨٩ش، ج١: ١٩).

ويتكون بحث حجية الظواهر من ثلاث وجهات نظر:

أ - عدم حجية الظواهر بشكل مطلق: وجهة النظر هذه منسوبة إلى الإخباريين.

ب - حجية الظواهر بشكل مطلق: وهي وجهة نظر منسوبة إلى المتأخرين ومنهم المرحوم الشيخ الأنصاري، آخوند خراساني، ميرزا نائيني وكذلك الإمام الخميني وآية الله خوئي وكلبايكاني وأراكي.

ت - القول بالتفضيل: أي أن ظواهر القرآن حجة على المقصودين بالإفهام والمخاطبين، لكنه ليس حجة على غير المقصودين بالإفهام وغير المخاطبين. تنسب وجهة النظر هذه إلى صاحب المعالم وميرزا قمي.

ويظهر أن تفسير القرآن وفهمه صحيح حسب وجهة النظر الثانية فقط، ومن الأدلة التي تستند إليها وجهة النظر هذه يمكننا أن نشير إلى سيرة العقلاء والأدلة القرآنية والأدلة الروائية (علوي مهر،١٣٨٩ش: ٧٣-٧٥).

ويقبل الشهرستاني بظواهر القرآن ويعتبر حجيتها ضرورية في فهم القرآن وتفسيره، ويطرح العديد من أسس العلوم القرآنية بناءً على ظواهر الآيات القرآنية بما فيها البحوث العامة والخاصة والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ ويأتي بالمتضادات اللغوية بناءً على ظواهر القرآن. فعلى سبيل المثال يقول: ((وأمّا التضاد والترتّب في آيات القرآن فهو مبني علي فطرة الخلائق من الأخيار والأشرار، والأولياء والأعداء، والمؤمنين والكفار، والأبرار والفجّار. فما من قصّة إلّا وفيها ذكر الفريقين وحكم الخصمين...)) (الشهرستاني، ١٣٨٦، ج١: ٥٦).

ونلاحظ هنا أن الشهرستاني اقتبس تضاد المفردات في القرآن من ظاهره.

ويبين في نهاية الآية ٤٤ من سورة النحل ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾؛ أن اللفظ الصريح للقرآن يدل على أن القرآن يحتاج إلى مفسر كما تشير الآية الكريمة إلى إجمال ظاهر القرآن الذي يحتاج إلى تفسير ومفسر، لكن وجود هذا الأمر يثبت حجية ظواهر القرآن

(الشهرستاني، ١٣٨٦ش، ج١: ٦٣).

كما يذكر حديث الإمام علي عليه السلام والذي يجيب فيه عليه السلام أحد الأفراد بالنظر إلى ظاهر إحدى الآيات القرآنية الكريمة: و لذلك قال أمير المؤمنين لذلك الرجل الّذي كان يتكلم في القرآن برأيه إفحاما له بالعموم والخصوص: ((من إله المؤمن و الكافر؟)) قال: الله، قال: ((صدقت))، قال: ((فمن مولي الكافر و المؤمن؟)) قال: الله، قال ((كذبت. ذلك بأن الله مولي الّذين أمنوا و أن الكافرين لا مولي لهم)) (المحمّد:١١) (الشهرستاني، ١٣٨٦،ج١: ٢٣٠).

وبناءً على هذه الرواية نلاحظ بسهولة أن الإمام علياً عليه السلام يحتج بظاهر الآيات القرآنية وهذا بدوره دليل آخر على حجية ظواهر القرآن. ويأتي الشهرستاني بهذا النوع من الروايات في تفسيره ويتطرق إلى تفسير القرآن بسهولة بالاستعانة بها ثم يتمسك بظواهر الآيات في تفسيره ويعتقد بحجية ظواهر القرآن بشكل عام.

تعدد مستويات القرآن:

والآن وقد بينا أن ظواهر القرآن ذات حجية، ويبقى لدينا هذا السؤال وهو: هل يقتصر فهم القرآن والاستعانة بإرشاداته على ظواهر القرآن، وهل يتسم القرآن بمساحة أوسع مما يبين ظاهر آياته؟

نظراً للمستويات المتنوعة للمعارف الإلهية من جهة، واختلاف مستويات الفهم البشري من جهة أخرى، فقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم ببنية يمكن معها للمخاطبين بمن فيهم العالم والعامي والجاهلي والحضاري أن ينهلوا منه الإرشاد وهذا ما يعبر عنه بالظاهر والباطن (أسعدي،١٣٨٩ش، ج١: ٢٩)؛ ولأن بيان كل هذه المعارف ضمن ألفاظ القرآن أمر ليس بيسير، فقد تم بيان قسم هام منها ضمن إطار المعاني الباطنية، رغم أن هذا الأمر لا يعني أن الجميع قادرون على إدراك المعاني الباطنية للقرآن (نجارزادكان،١٣٨٨ش: ٦٤).

تم الاستناد إلى الآيات القرآنية في التعبير عن وجود الباطن، فعلى سبيل المثال ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل:٨٩) و... (راجعوا مؤدب،١٣٨٨: ١٧٠).

كما تم الاستناد إلى روايات عديدة، فعلى سبيل المثال عن الإمام الجعفر الصادق عليه السلام يقول: ((فعليكم بالقرآن... له ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه

عميق)) (مجلسي، ١٤٠٣، ج٢: ٢٨٤و ج٣٠: ٤٠).

ويعتقد العلامة الطباطبائي أن المعاني الباطنية مرتبطة بالبنية متعددة المعاني للآيات الكريمة لأنها على طول المعنى الظاهري وهي ليست على العرض حتى يكون استعمال اللفظ دالاً على أكثر من معنى. (الطباطبائي،١٣٩٣م،ج٣: ٦٤).

وهكذا يهتم جميع المفسرين وخاصة الإمامية منهم بالتفسير الباطني مثل العياشي في تفسيره والطبرسي في مجمع البيان وفيض كاشاني في الصافي والعلامة الطباطبائي في الميزان وآية الله معرفت في التفسير الأثري الجامع (مؤدب، ١٣٨٨ش، ١٧١).

وعندما يريد الشهرستاني أن يتطرق إلى تفسير القرآن، يعبر عن نفسه أمام القرآن والمرور عبر العبارات الظاهرية إلى المعاني الباطنية على النحو التالي: ((ثم تطّلعت من العبارة إلي المعني؛ فوجدته بحراً لا تفني عجائبه ولا تنفد غرائبه؛ بحراً بعيداً غوره، مديداً قعره؛ بحراً من الكلمات القدسية يمدّه سبعة أبحر بحراً ملآن دُرّاً والغوّاص واحد؛ بحراً ملآن غوّاصين والدُرّ واحد؛ فطفقت أرتاي بين أن أخوض سباحةً، واليدُ جذّاءُ، والساحل بعيد، و بين أن أطلب سفينة وقد غصبها الغاصب أو خرقها العالم فاشار إلى من إشارته حزمٌ وطاعته حتم، عليك بمجمع البحرين أو تمضي حقبا. فهناك ملتقي النهرين وعين الحياة، والحوت قد اتّخذ سبيله في البحر سربا...)) (راجعو الشهرستاني،١٣٨٦، ج١: ٦).

ويشير تعبير الشهرستاني هذا إلى أنه يعتقد بتعدد مستويات القرآن ويعتبر ظاهره وباطنه حجة وعندما يريد أن يتطرق إلى تفسير القرآن، يرى أن علمه عاجز عن اجتياز هذه المسافة لوحده فيبحث عن مرجع وكما يقول هو عن سفينة نجاة يستعين بها. ويقصد الشهرستاني بسفينة النجاة ما جاء في حديث السفينة المنقول في الفصل ١٢ من المقدمة والتصريحات الموجودة في التفسير وهي علوم آل محمد (الشهرستاني، ١٣٨٦ش، ج١: ٦٧). وفي هذا الحديث الذي نقل عن أهل البيت عليهم السلام شبه رسول الله صلى الله عليه وآله بسفينة النجاة.

وينقل كذلك هذه الرواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام حيث يقول: ((كتاب الله على اربعة اشياء: العبارة و الاشارة و اللطائف و الحقائق)) (الشهرستاني،١٣٨٦،ج١: ٦٧).

كما ينقل عن عبد الله بن مسعود رواية يعتبر فيها أن القرآن ذو ظاهر وباطن ويعتبر أن

علمه يقتصر على الإمام علي عليه السلام: ((إن القرآن أنزل علي سبعة أحرف، ما منها حرف إلّا له ظهر وبطن، فإنّ عليا عنده منه علم الظاهر والباطن)) (راجعوا الشهرستاني، ١٣٨٦،ج١: ٦٥؛ قمي،١٤٠٤، ج١: ٢٠؛ إبن شهر آشوب، ١٣٧٩، ج٢: ٤٣).

إذن يشير الشهرستاني بهذه الرواية إلى تعدد مستويات القرآن والجميع يعتبر أن القرآن ظاهر وباطن ويقبل بحجية كل منهما في علم تفسير القرآن.

حجية علم أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم في تفسير الوحي:

والآن وقد أثبتنا تعدد مستويات القرآن الكريم وبينا أن القرآن ليس كتاباً ظاهرياً وهو ذو باطن ومعان رائعة، يجب العثور على الطريقة التي تمكن من الحصول على علم باطن القرآن وعلى الأشخاص الذي تجب الاستعانة بهم، وهل يتيسر علم التأويل للجميع؟

لأجل الحصول على علم باطن القرآن ومعارفه الباطنية، تجب الاستعانة بالأئمة المعصومين عليهم السلام.

ويرى الشيعة أن تفسير أهل البيت عليهم السلام للقرآن هو ذاته تفسير رسول الله عليه السلام ويشمل كافة معارف التنزيل والتأويل والظاهر والباطن، ولا يعتريه أي شك ولا يشوبه أي وهم أو خطأ، ويمكن إثبات هذا الأمر بالأدلة القرآنية والأحاديث.

يمكننا أن نثبت هذه المرتبة لأهل البيت عليهم السلام من الآيات المتعددة. فعلى سبيل المثال الآية ٧ من سورة آل عمران والآية ٤٣ من سورة الرعد والآية ٤٩ من سورة العنكبوت والآية ٤٣ من سورة النحل و... (ر.ك نجارزادكان، ١٣٨٨: ١٥٤-١٦١).

ويمكن هنا الاستناد إلى أحاديث كثيرة جاء بعضها في مصادر الفريقين حول اقتران الإمام علي عليه السلام بالقرآن وعلمه بمعارفه. ففي جزء من تلك الأحاديث صرح بأنه لا أحد يرتقي إلى منزلة الإمام علي عليه السلام في هذا المجال ويشير جزء آخر إلى علاقة جميع أهل البيت بالقرآن الكريم ومن بين تلك الأحاديث حديث رسول الله صلى الله عليه وآله حيث يقول: ((علي مع القرآن و القرآن مع علي، لن يفترقا حتّي يردا علي الحوض))(مفيد، ١٤١٣: ٤١٨؛ طوسي، ١٤١٤: ٤٦٠؛ إبن بابويه الرازي، ١٤٠٨: ٧٣؛ إبن طاووس، ١٤١١: ١٩٩؛ حلي، ١٤١١: ٢٣٦).

ومن الأحاديث التي تثبت حجية سيرة أهل البيت عليهم السلام حديث الثقلين الذي يشير فيه رسول الله إلى أن أهل البيت عليهم السلام خلفاء للقرآن ومساوون له (نجارزادكان،١٣٨٨ش: ١٦١-١٧٠).

ومن الجدير بالذكر أن علم أهل البيت عليهم السلام مساو للمعارف القرآنية ويعتقد الشيعة أنه لا فرق بين أقوال الأئمة عليهم السلام وأحاديث الرسول الكريم؛ لأن علوم الأئمة تنشأ عن علوم الرسول وعلوم الرسول من الوحي. إن هذه العلاقة حقيقية وتشير إلى الوحي؛ كما هي علاقة كلام الرسول الكريم بالوحي الإلهي والتي لا تؤدي مطلقاً إلى التعارض والتنافي (عميد زنجاني،١٣٧٣ش: ٧٥).

ويقول الشهرستاني في ديباجة مقدمته إلى اقتصار علم القرآن على أهل البيت عليهم السلام، أهل العصمة والطهارة حيث يقول: ((ولقد كانت الصحابة متّفقين علي أن علم القرآن مخصوص بأهل البيت عليهم السلام:إذ كانوا يسألون علي بن أبي طالب عليه السلام هل خُصصتم أهل البيت دوننا بشيءٍ سوي القرآن؟ و كان يقول: لا والّذي فلق الحبّة و برأ النسمة، إلّا بما في قراب سيفي هذا، الخبر...)) (الشهرستاني، ١٣٨٦، ج١: ٥؛ بحراني،١٣٧٤، ج١: ٢٠؛ أحمدي ميانجي، ١٤١٩، ج١: ٤١٩).

كما يعتقد بأن علم القرآن يقتصر على كافة أهل البيت عليهم السلام حيث يروي عن الإمام الصادق عليه السلام: ((القرآن نصفه فينا و نصفه في عدوّنا والّذي في عدوّنا فهو فينا))(راجعوا الشهرستاني،١٣٨٦، ج١: ٥٦؛ كليني،١٤٢٩، ج٤: ٦٦٠).

ويريد من ذكره لهذه الآيات أن يبين أن علم القرآن لا يرتبط بأهب البيت فحسب، بل القرآن بأكمله يرتبط بهم حيث يبين وجهة نظره هذه بالنظر إلى رواياتهم مما يشير إلى تأثر الشهرستاني بأهل البيت عليهم السلام.

النتيجة:

نستنتج مما تقدم في بحث فهم القرآن من وجهة نظر الشهرستاني، أنه يعتقد بإمكانية فهم القرآن وجواز تفسيره لكافة المفسرين شرط أن يتجنبوا التفسير على هواهم، ويمتنعوا عن الفرضيات الدينية ويستعينوا بعلم وروايات أهل البيت عليهم السلام.

ويعتبر الشهرستاني أن ظواهر القرآن حجة ويطرح أسس العلوم القرآنية حسب ظاهر القرآن، كما يعتقد أن القرآن ذو مستويات وطبقات مختلفة ويستشهد بروايات أهل البيت في هذا المجال ويعتبرهم معبراً للمرور من ظواهر القرآن إلى بواطنه.

أما القاعدة الرئيسية التي يعتمد عليها الشهرستاني في تفسيره تتمثل في الرجوع إلى أهل

البيت والتمسك برواياتهم، ويرى كذلك أن علم أهل البيت وسيرتهم في التفسير حجة وأن الأشخاص الذين لم يستعينوا بهم في التفسير قد عانوا من الضلال والجهل وأنهم ألقوا بأنفسهم في التهلكة.

ويستشهد الشهرستاني بالروايات المتعددة والكثيرة لأهل البيت عليهم السلام وخاصة الإمام الصادق عليه السلام في تفسيره، حيث تأثر إلى حد كبير بفكره وعلمه.

قائمة المصادر والمراجع

وخير ما نبتدئ به القرآن الكريم.

١- إبن بابويه الرازي، منتجب الدين(١٤٠٨ق)، الأربعون حديثا، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي، قم: مؤسسة الامام المهدي.

٢- إبن حجر عسقلاني، أحمد بن علي (١٤١٦ق)، لسان الميزان، تحقيق محمد عبدالرحمن مرعشلي، بيروت - لبنان: دار إحياء التراث العربي.

٣- إبن حيون، نعمان بن محمد (١٤٠٩ق)، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، تحقيق محمد حسين حسيني جلالي، قم: منشورات جامعة مدرسين.

٤- إبن شهر آشوب مازندرانى، محمد بن على(١٣٧٩ش)، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام(لإبن شهرآشوب)، قم، منشورات علامة.

٥- إبن طاووس، أحمد بن موسي(١٤١١ق)، بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية، تحقيق علي عدناني غريضي، قم: منشورات مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٦- أحمدي ميانجي، علي(١٤١٩ق)، مكاتيب الرسول، قم: دار الحديث.

٧- آذرشب، محمد علي(١٣٦٦ش)؛ ((الشهرستاني و التفسيره))، مشهد: مشكوة، الرقم ١٧٠.

٨- أسترآبادي، محمد امين(بي تا)، الفوائد المدنية، قم: دار النشر لأهل البيت.

٩- أسعدي، محمد و صديقان(١٣٨٩ش)، علم الأمراض من التفسير، قم: بزوهشكاه حوزه ودانشكاه.

١٠- بابائي، علي اكبر و غلام علي عزيزي كيا ومجتبى روحاني راد(١٣٧٩ش)، منهجية التفسير القرآن، قم: بزوهشكاه حوزه و دانشكاه- تهران: سمت.

١١- بحراني، هاشم(١٣٧٤ش)، ألبرهان في تفسير القرآن، قم: مؤسسة البعثت.

١٢- جوادي آملي، عبدالله(١٣٨٣ش)، التفسير التسنيم، قم: منشورات إسراء.

١٣- حسكاني، عبيد الله بن عبد الله(١٤١١ق)، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تحقيق محمد باقر محمودي، التابعة لوزارة الثقافة و الإرشاد الإسلامي، تهران: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.

١٤- حلي، حسن بن يوسف (١٤١١ق)، كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق حسين دركاهي، تهران: الوزارة الإرشاد.
١٥- خوئي، أبو القاسم (١٣٦٦ش)، البيان في تفسير القرآن، تهران: الكعبة.
١٦- الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم(١٣٨٦ش)، التفسير مفاتيح الأسرار و مصابيح الأبرار، تحقيق محمد علي آذرشب، تهران، مركز البحوث و الدراسات للتراث المخلوط.
١٧- زركلي، خيرالدين(٢٠٠٥م)، الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين.
١٨- صدوق، محمد بن علي(١٣٧٦ش)، الأمالي، تهران، منشورات كتابجي.
١٩- ..... (١٣٦٢ش)، الخصال، تحقيق علي أكبر غفاري، قم: منشورات جامعة مدرسين.
٢٠- .....(١٣٩٥ق)، كمال الدين و تمام النعمة، تحقيق علي أكبر غفاري، تهران: منشورات الإسلامية.
٢١- الصفدي، صلاح الدين خليل(١٣٨١ش)، الوافي بالوفيات، طهران: الجهان.
٢٢- الطباطبائي، محمد حسين (١٣٩٣ق)، الميزان في التفسير القرآن، بيروت: مؤسسة الأعلمي.
٢٣- الطبرسي، فضل بن حسن(١٣٧٢ش)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تهران: منشورات ناصرخسرو.
٢٤- طوسى، محمد بن الحسن(١٤١٤ق)، الأمالي، تحقيق مؤسسة البعثة، قم: منشورات دار الثقافة.
٢٥- عرفان، فاضل(١٣٧٦ش)، ((أهل بيت عليهم السلام في التفسير الشهرستاني))، مشهد: مجلة بزوهشهاي قرآني، الرقم ١١و.١٢
٢٦- علوي مهر، حسين(١٣٨٩ش)، أساليب وتفسير الاتجاهات، قم: منشورات أسوة.
٢٧- .....(١٣٨٩ش)، ((حجية الظواهر القرآن، مقدمة فهمه وتفسيره))، تهران: المجلة التدريب النمو، الرقم.٢٨
٢٨- عميد زنجاني، عباسعلي(١٣٧٣ش)، مبادئ وطرق التفسير القرآن، تهران: الوزارة الثقافة و الإرشاد الإسلامي.
٢٩- قمى، على بن ابراهيم(١٤٠٤ق)، تفسير القمي، تحقيق طيب موسوي جزايري، قم: دار الكتاب.
٣٠- كليني، محمد بن يعقوب(١٤٢٩ق)، الكافي، تحقيق دار الحديث، قم: دار الحديث.
٣١- مجلسي، محمد باقر(١٤٠٣ق)، بحار الأنوار في أخبار الأئمة الأطهار، بيروت، مؤسسة الوفاء.
٣٢- .....(١٤٠٤ق)، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، تحقيق هاشم رسول محلاتي، تهران: دار الكتب الإسلامية.
٣٣- مفيد، محمد بن محمد (١٤١٣ق)، الجمل والنصرة لسيد العترة في الحرب البصرة، تحقيق علي ميرشريفي، قم: منشورات المؤتمر الشيخ المفيد.
٣٤- مؤدب، رضا (١٣٨٨ش)، مبادي التفسير القرآن، قم: منشورات دانشكاه قم.
٣٥- نجارزادكان، فتح الله (١٣٨٨ش)، دراسة مقارنة لمبادئ التفسير القرآن، قم: بزوهشكاه حوزه ودانشكاه.
٣٦- نمازي شاهرودي، علي (١٤٢٦ق)، مستدركات علم رجال حديث، قم: مؤسسة منشورات اسلامي.
٣٧- هلالي، سليم بن قيس(١٤٠٥ق)، الكتاب سليم بن قيس، تحقيق محمد أنصاري زنجاني خوئيني، قم: الهادي.